**المحاضرة الســـــــــــادســــــــــة**

* **الثورة الدستورية**

تعد الثورة الدستورية من اهم الاحداث والتطورات السياسية التي شهدها تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ووفق ما ذكرته المصادر ان الثورة الدستورية كانت حصيلة عاملين اساسين الاول: تذمر القاجاريين من مساوئ الحكم القاجاري وسوء الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للبلاد في عهدهم، اما العامل الثاني فهو: الاتصال المستمر بين ايران واوروبا في القرن التاسع عشر وتسرب الافكار الحديثة اليها وهذا خلق شعوراً في ايران بحاجتها لتحقيق الانتقال الى النظام الملكي الدستوري.

وبالرغم من هذه العوامل، الا ان هناك مجموعة من العوامل التي اسهمت في قيام الثورة الدستورية في ايران بالامكان تصنيفها الى عوامل داخلية واخرى خارجية، ومن اهم العوامل الداخلية التي يمكن اعتبارها عوامل مباشرة هي :

1. ظهور عدد من المثقفين طالبوا بالاصلاح ومقاومة الاستبداد القاجاري واقامة حكم دستوري في ايران ومنهم، فتح علي اخندوف ومحمد خان مجد الملك ويوسف مستشار الدولة التبريزي وميرزا مالكم خان ناظم الدولة وعبد الرحيم طالبوف ولايفوتنا ان ننسى جمال الدين الافغاني الذي لا يغفل دوره في التقريب بين المثقفين ذوي التوجه الغربي الذين تبنوا الافكار الدستورية وبين رجال الدين.
2. الصحافة الايرانية في الداخل التي تمثلت بوجود ما يشبه المنظمة السرية التي كانت مهمتها توزيع جريدة (قانون) وغيرها من المنشورات التي كان يحرم دخولها الى البلاد.
3. سوء الاوضاع الاقتصادية للبلاد والازمة التي واجهها الحرفيين الايرانيين بشكل خاص جراء فتح ملوك القاجار ابواب البلاد امام السلع والنتجات الاوربية وتدهور الانتاج الحرفي دفع الالاف منهم الى التوجه الى اذربيجان للعمل في حقول نفط باكو، واثناء تواجدهم هناك سنحت لهم فرصة الاحتكاك بالحركات السياسية والثورية في روسيا.

اما ما يخص العوامل الخارجية فهي :

1. الاتصال المستمر بين ايران واوروبا في القرن التاسع عشر عن طريق ارسال البعثات الدراسية وفتح ممثليات دبلوماسية ايرانية في العديد من العواصم الاوروبية .
2. الصحافة الايرانية في الخارج وما مارسته من دور مهم في تحريض الايرانيين ضد الحكام القاجار واستبدادهم للشعب الايراني ودعوتهم للثورة ضدهم وتشديدهم الرقابة على الصحف في داخل البلاد الى مغادرتها واصدار الصحف في الخارج وتعريف الايرانيين بالتطورات السياسية الحاصلة خارج بلادهم، ومن ابرزها صحيفة النجمة التي صدرت في اسطنبول عام 1876 وصحيفة قانون التي صدرت في لندن عام 1890 وصحيفة حكمت في القاهرة وصحيفة حبل المتين في كلكتا التي صدرت عام 1893.
3. الجاليات الايرانية في الخارج ودورها في نقل اخبار التطورات والحركات الثورية الدستورية في البلاد التي يقيمون فيها فضلاً عن الجاليات التجارية في كراتشي وبومباي وكلكتا في الهند وكابل وهراة في افغانستان ومرو وبخارى وسمرقند في مناطق اسيا الوسطى وبغداد واسطنبول والقاهرة في الدولة العثمانية.
4. الثورة الدستورية التي قامت في روسيا عام 1905 فقد شارك فيها الكثير من العمال الايرانيين الموجودين في روسيا وقتها، وقد اثرت تلك الثورة في قيام الثورة الدستورية في ايران وهناك تشابهاً كبيراً بين الثورتين الايرانية والروسية.

بدأت احداث الثورة الدستورية عام 1905، فقد شهدت ايران في بدايتها ارتفاعاً كبيراً في اسعار المواد الغذائية شكل ازمة اقتصادية في البلاد، نشأت هذه الازمة بسبب موسم الحصاد السيئ والانقطاع المفاجئ في تجارة المناطق الشمالية من ايران مع روسيا بسبب انتشار وباء الكوليرا ونشوب الحرب الروسية اليابانية عام 1904-1905، مما حدا بالحكومة الايرانية ان تزيد من الضرائب على التجار المحليين.

كانت طهران مسرحاً للثورة ولم يلعب الريف الايراني دوراً يذكر فيها لاسباب منها تفشي الامية بين الفلاحين وخضوعهم لملاك الاراضي والزعماء القبليين، فقد كانت ثورة 1905 ثورة مدينية قادها واسهم فيها المثقفون ورجال الدين والعمال والحرفيين، وقد نظر الايرانييون الى الثورة الدستورية من جهتين مختلفتين، من وجهة نظر طهران كانت الثورة صراعاً ضد الاستبداد ومن اجل الحرية وسيادة القانون، اما من وجهة نظر المقاطعات فقد كانت صراعاً من اجل مزيد من الاستقلالية في الشؤون المحلية عن السلطة المركزية.

اقدمت الحكومة الايرانية في كانون الأول عام 1905 على معاقبة بعض التجار بحجة رفعهم اسعار السكر فقامت مجموعة منهم بالاعتصام في مسجد طهران الكبير وانظم اليهم عدد من كبار رجال الدين ومنهم السيد محمد الطباطبائي والسيد عبد الله البهبهاني، تقدم المعتصمون بعدة مطالب الى الشاه منها طرد مدير الكمارك البلجيكي جوزيف ناوس وعزل رئيس الوزراء عين الدولة واعادة الديون التي اقترضتها الحكومة من التجار وتطبيق الشريعة وتأسيس دار عدالة وقد انتهى الاعتصام في كانون الثاني عام 1906 عندما وعد الشاه مظفر الدين بالاستجابة لمطالب المعتصمين.

لم ينفذ الشاه مطاليب المعتصمين وتأزم الوضع وبدأت الاحتجاجات ضد الحكومة وادى الصدام مع رجال الشرطة الى اعتصامين كبيرين فقد انسحب الطباطبائي والبهبهاني وحوالي 2000 من طلاب الفقه وعوائلهم الى قم واعتصموا هناك واعلنوا ان العاصمة ستبقى بدون ارشاد ديني، اما الاعتصام الثاني فقد قام به التجار والحرفيون في المقام الاول حيث التجأ ما بين 12000 و 14000 شخص من هؤلاء الى حدائق المفوضية البريطانية في طهران وشلوا النشاط الاقتصادي في العاصمة واستمر الاضراب العام في طهران وايدته اكثر المقاطعات الايرانية مما جعل الشاه يذعن تدريجياً فقد قام بعزل عين الدولة من منصب رئاسة الوزراء وعين بدلاً منه مشير الدولة ثم اصدر مرسوماً في آب عام 1906 وافق فيه على سن دستور للبلاد وانتهت بذلك عمليات الاعتصام في قم وفي طهران .

وعد الشاه في مرسوم 5 آب 1906 باجراء اصلاحات شاملة في البلاد من اجل تقوية مؤسسات الدولة، كما اشار المرسوم الى حاجة ايران الى مجلس منتخب من ممثلي الشعب وحدد المرسوم من له حق الانتخاب وهم الامراء، المجتهدون، الاعيان، الملاك، واصحاب الحرف وحدد مكان اجراء الانتخاب في طهران، وقد جرت انتخابات سريعة في مطلع تشرين الأول عام 1906 وتم افتتاح المجلس في السابع من تشرين الأول عام 1906 فكان اول مجلس نواب في تاريخ ايران، وفي غضون سنة واحدة من افتتاحه انجز مهمة وضع دستور اساسي للبلاد وقد وقعه الشاه مظفر الدين وهو على فراش الموت كما وقعه ولي عهده محمد علي شاه واتم المجلس بعد ذلك ملحقاً للدستور في 7 تشرين الأول عام 1907 وقعه محمد علي شاه.

نص الدستور الايراني على اقامة نظام حكم برلماني في البلاد اساسه مجلس النواب وحدد الدستور مدة انعقاد كل مجلس بسنتين كما منح الدستور النواب حق المصادقة على او رفض او تعديل جميع القوانين والامتيازات والقروض وميزانية الدولة كما منح الشاه امتيازات بوصفه رئيساً للدولة زمنها القائد العام للقوات المسلحة وحق تعيين نصف اعضاء المجلس الاعلى في البرلمان، وتضمن الدستور بنوطاً اخرى منها اعلان المساواة بين المواطنين وتحقيق العدالة والفصل بين السلطات الثلاث وضمان حرية النشر وغيرها .